بلاغة الحذف

في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

المدرس الدكتور
هناء محمود إسماعيل
الجامعة العراقية

المدرس
هادي سعدون العارضي
جامعة الكوفة

بلاغة الحذف في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

المدرس الدكتور
هناء محمود
الجامعة العراقية

المدرس
هادي سعدون العارضي
جامعة الكوفة

المقدمة:

الحذف ظاهرة بلاغية شائعة ومميزة للنصوص الفنية في تراثنا الأدبي؛ كونها ترتبط بمنظومة لغوية محكمة، وفي مستويات ذات علاقات تركيبية ودلالية متداخلة لا يجيدها إلا بارع، ولا يتقنها إلا من عقله ناجع بعلوم اللغة والفصاحة والبيان، فيكون حذفه أبلغ من ذكره، وصمته أعظم من نطقه وإضماره أجدى من بيانه، ومن خلال إطلاعنا على ما ذكره القدامى والمحدثين في هذه الظاهرة، نجد أنها تتمثل لدينا خير تمثيل في أدب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بصورة عامة، وحكمه بصورة خاصة؛ لما تنماز به هذه الشخصية من سمات عديدة أولها إرتشافه العلم من معين الأنبياء والأوصياء، ففاض لسانه بشتى العلوم والمعارف الإنسانية، المُوشّحة بسلاسة القول، وعمق المعنى، وقوة التأثير. فأصبحت بعد ذلك منهجًا وحكمًا تتداوله الناس في حديثها؛ لتقريب الأفكار للمتلقين والتأثير فيهم ، وقد حاول البحث أن يتعمق بسر من أسرار هذا التأثير وفن من هذه الفنون ألا وهو الحذف الذي وظّف في حكم الإمام علي بن أبي طالب في محاولة لتعميق الرؤى في بلاغة هذا الفن وما يفرزه من إمدادات بلاغية تتناغم مع السياق وعلى وفق ذلك قسم البحث لثلاثة مباحث، سبقها تمهيد في الحذف وأدلته السياقية جاء المبحث الأول في بلاغة حذف الحرف، و المبحث الثاني في تقصي حذف الكلمة على وفق ما ترد فيه من أقسام الجملة حذف الجملة.وخصص المبحث الثالث لحذف الجملة

و جاء حذفه منسجما مع المقام والسياق، وقرائنه اللغوية، وبما يشكل حالة جمالية تحققت من خلال مراعاة النص في مضمونه وشكله على وفق ما توفرت من نماذج لتلك الحكم التي رجعنا إليها في كتاب ((غرر الحكم ودرر الكلم من المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للآمدي)) المتوفى سنة (٥٥٠هـ)، ومن بعدها ختم البحث بنتائج البحث وثبت المصادر والمراجع، وفي آخر القول نقول هذا هو جهدنا، إن أصبنا فيه فهو غاية ما سعينا اليه، وإن لم نصب فحسبنا أنا حاولنا جاهدين، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

الحذف ظاهرة لغوية مشتركة بين اللغات الإنسانية، وتتضح معالمها في اللغة العربية أكثر من سواها من اللغات، لما تنماز بها من خصائص الميل الى الإيجاز والاختصار والحذف، وعُد ظاهرة أسلوبية جمالية ميزت النظم القرآني، وكلام العرب شعره ونثره، والحذف في اللغة: القطع والإسقاط (حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه من طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر... والحَذْفُ الرَّمْيُ عن جانبٍ والضرْبُ عن جانبٍ)[1] أما اصطلاحًا فالحذف: (إسقاط جزء من الكلام أوكله لدليل)[2] وعُني القدماء - من نحويين وبلاغيين - بدراسة هذه الظاهرة، فبعضهم خلط بين الحذف والإضمار، وفرّق ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) بين مصطلحي الحذف والإضمار وانتقد استعمالهما في موضع واحد: (النحويون يفرقون بين الإضمار والحذف ويقولون أن الفاعل يضمر ولا يحذف، فإن كانوا يعنون بالمضمر مالا بد منه، والمحذوف ما قد يستغنى عنه)[3].

وربط عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بين ثنائية الحذف والذكر، حينما عدّ الصمت وعدم الذكر أكثر تأثيرا من الإفصاح في المتلقي: هو (بابٌ دقيقُ

المَسْلك، لَطيفُ المَأخذ، عجيبُ الأمرِ، شَبيهٌ بالسِّحر؛ فإنّك ترى به تَركَ الذِّكْر أفصحَ من الذِّكرِ، والصَّمْتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادةِ، وتَجدُكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تَنْطِقْ، وأتمَّ ما تكون بَيانًا إذا لم تُبِنْ)[٤].

فالحذف ضرب من الإيجاز، وهو ظاهرة ميزت النظم القرآني، ومن سنن العرب في كلامها، ومنه (ما جاء عن أبي عمرو بن العلاء حين سئل أكانت العرب تطيل؟ فقال نعم؟ لتبلغ. قيل أفكانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها...فالعرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد)[٥]، وتميل اللغة العربية إلى مراعاة مقتضى الحال، ولذا تميل إلى حذف ركن من أركان التركيب كأن يكون جملة، أو كلمة نحو: الاسم، والفعل، والحرف واشترط العرب في الحذف وجود دليل على المحذوف، وإلا صار ضربا من التكهن والتعمية في الكلام[٦]، وتتنوع أدلة الحذف بين القرائن اللفظية والحالية المقامية والأدلة العقلية[٧]، ويعد الحذف أحد نوعي الإيجاز: وهما (القصر والحذف)، وفرّق ابن هشام (ت٦٧١هـ) بينهما (فالاختصار: الحذف لدليل، والاقتصار: الحذف لغير دليل)[٨].

ويؤدي الحذف أغراضا في اللغة منها: الإيجاز، والاختصار في الكلام، والاتساع والتفخيم، والتعظيم، والتحقير، وصيانة المحذوف عن الذكر، ورعاية الفاصلة....[٩]. ويتجه الدرس اللغوي الحديث الى استبعاد التقديرات، والتأويلات، والافتراضات.ووصف اللغة كما هي انطلاقا من قدرة اللغة على الاختصار والإيجاز، واعتماد بدائل معنوية في الاستدلال على المحذوف منها: القرائن، والاكتفاء بموحيات المعنى المقصود، والمقام[١٠]، فيما اتجهت الدراسات الإسلوبية المعاصرة إلى جمالية الحذف؛كونه ظاهرة أسلوبية ترقى بالكلام إلى مستوٍ عالٍ موجزٍ يزخر بشحنات دلالية متماسكة وضربٍ من التعالق بين اللغة والمتكلم والمتلقي.

المبحث الأول

حذف الحرف في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

تعد مهارة تأليف الكلمات ضمن السياقات اللغوية من المهارات المهمة والضرورية التي تحدد جمالية اللفظ وتأثيره في نفس المتلقي، وترتبط تلك المهارة بقدرة المرسل في إختيار لفظة دون أخرى لتكوين المعنى، ويبدو أن سمات الحروف المكوِّنة للكلمة لها الأثر الواضح في التأثير؛ لما تمتلكه الأصوات من (أثر موسيقي خاص يوحي إلى السمع بتأثيرات مستقلة تمام الإستقلال عن تأثيرات المعنى وعن مجرد كون اللفظ رقيقا وغير رقيق)[١١]، ولابد من التأكيد بأن الصوت اللغوي، لا يمتلك القدرة على التصوير وتعميق المعنى في ذهن المتلقي بشكل مسبق، وإنما يستمده من موقعه في السياق؛ لأن الصوت لا يكتسب هذه الخاصية الشمولية في إدراك معالم التصوير من وجوده في المفردة فحسب، بل من خلال التوظيف الدقيق للصوت اللغوي في السياق في موضعه المتقن من إيقاع الجملة وتنغيمها، (فتوحي بأثر موسيقي خاص، يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض، ويستقرأ من خلال تشابك النص الأدبي في عبارته فيعطي مدلولاً متميزاً في مجالات عدة: الألم، البهجة، اليأس، الرجاء، الرغبة، الرهبة، الوعد، الوعيد، الإنذار، التوقع، الترصد، التلبث... إلخ)[١٢].

نستنتج مما تقدم، بأن للحروف أثر في تعميق المعنى وتجذيره، إلا أنه في الوقت ذاته يمكن أن يعد ذكر هذه الأصوات عائقا في إيصال المعنى وترسيخه، ومن يمعن النظر في ما ورد من كلام الإمام علي عليه السلام عامة وحكمه خاصة يجد أن ملامح حذف الحرف متوفرة ولكن بشكل نادر وقليل، ولا يأتي إلا لدواعٍ بلاغية فنية خالصة، ومن ذلك قوله: ((بادر غناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك))[١٣].

١- **الإختصار**: فيحذف حرف الجر اللام وغيره من الحروف من الكلام إذا دل عليه دليل وهو معروف في كلام العرب.

٢- **الجمالية**: حذف اللام في (ولحياتك) منح النص جمالية تبلورت من خلال مراعاة الإيقاع المتمثل في فن التوازي الذي جاء بين الجملتين، فخلق ذلك إيقاعًا جميلًا أثار انتباه المستمع من غير أن يُوظَّف الحرف، والذي قد يكون مجيئه عائقا لتحقيق غاية المنشيء في الإستمتاع بجمالية النص.

٣- **الدلالة**: يعمد المنشيء في سياق نصه الفني إلى الترابط بين الألفاظ على أساس الدلالة وتعميق المعنى، وعند الرجوع لمعاجم اللغة، لتأصيل الفعل (بادر) نجدها من المبادرة، وبادر إلى الشيء أسرع إليه[١٤]، ولا يخفى علينا أن مجيء حرف (الى) أو (اللام) يتنافى مع ما يصبو إليه المنشيء من إقحام الدلالة الزمنية التي يصنعها الحرف مع دلالة لفظة يراد لها أن تسحق الزمن وتطويه.

ونجد مصاديق ذلك أيضا في حديث الإمام عليه السلام عن الغنى، وذلك في قوله: ((الغنى الأكبر اليأس عما في أيدي الناس))[١٥] والتقدير (في اليأس).

وقوله في الجهاد في الدين ((احبب في الله مَنْ يُجاهِدُك على صلاحِ دينٍ، ويَكسِبُ حُسْنَ يقينٍ))[١٦].

الحذف هنا حرف الكاف (كاف المخاطب ويكسبك)، وقد دلت القرينة اللفظية في المثال الأول (في أيدي الناس)، وفي الثاني (الكاف)؛ إذ أغنت هذه القرينة عن ذكر المحذوف وتكراره. والسياق اللغوي هو الذي فرض هذا الحذف، وأوحى بالقصد المراد.وأدّى هذا الاستغناء غرضا دلاليا في زيادة تماسك النص، وحسن إيقاعه وبلاغته.

ومن مصاديق حذف الحرف عند الإمام عليه السلام ما ورد في قوله ((ما أضمر أحدٌ شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه))[١٧]، يريد أن يكون النص على ظاهرة وضوح الحقائق إذ لا يمكن إخفائه؛ لوجود الدلائل الظاهرة على سمات الإنسان، وخصائصه الخلقية فقد تكونت الجملة من (ما) وهي حرف نفي له دلالة على النفي في أزمنة مختلفة، وإن النص الذي لا يلتزم بمحدد زمني ولا مكاني يمتلك العمومية أو الشمول وهي إحدى سمات الحكمة؛ لأنها عابرة للمكان والزمان وقد صيغ النص على نوع من التراكب التي اعتمدت النفي والاستثناء ((وهي طريقة تكون في المواضع التي يكون فيها المخاطب منكرا للشيء أو منزلا منزلة المنكر، أو أن الشيء نفسه مما يشك فيه))[١٨]، ولكي يحقق النص التماسك وقوة التأثير لجأ المنشئ إلى حذف لزيادة تماسك النص وقوته فحذف حرف الجر (في) من و صفحات وجهه لكي يعطي قوة صدمة للمتلقي ولا يسمح بالشك.

فالنص استغل قدرة الحذف على إحداث التماسك النصي ومن ثم المعنوي.

ومن خلال عملية البحث عن ظاهرة الحذف في كتاب (غرر الحكم ودرر الكلم) للقاضي ناصح الدين، وجدنا بأنه لم يكن هناك استقصاء تام وشامل لحكم الإمام عليه السلام في هذا الكتاب فوجدنا أن هناك كثير من الحكم الموجودة في كتاب نهج البلاغة، ولم تدرج في كتاب الغرر وهذا ما يتطلب أن تكون هناك فهرسة ودراسة لحكم الإمام في نهج البلاغة، وهذا ما نجد مصاديقه في المثال السابق وأمثلة أخرى[١٩].

المبحث الثاني

حذف الكلمة في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

في الزمن الذي يثبت فيه الباحثون أن لحضور الكلمة وتوظيفها ضمن

التشكيل البنائي للجملة على وفق قصدية مصورة أثره في المتلقي، فإن للمنشيء القدرة على أن يبعث التأثير ذاته من خلال توظيف فن الحذف على وفق سياقات جديدة تقوم على بعث عنصر الخيال في ذهن المتلقي فتذهب به مذاهب بعيدة، ويكاد يتفق الجميع على أن هذا الفن لا يتوافر إلا في النصوص الأدبية الرفيعة التي تتجدد خيالاتها عبر العصور، فتتجدد جيلا بعد جيل كموضوع يحمل من المعاني ما لا سبيل إلى الإلمام به، وهذا ما نجده في حكم الإمام علي عليه السلام من خلال حذف الكلمة التي جاءت على صور عديدة منها:

أولاً: حذف الجار والمجرور:

وهذا ما نجده في حديثه عن مسألة العبادة في قوله: ((إِن قوما عبدوا الله سبحانه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد، وقوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار))[٢٠] فحذف المنشيء الجار والمجرور وتقدير الكلام: ((إِن قوما عبدوا الله سبحانه رغبة (في ثوابه) فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوه رهبة (من عقابه) فتلك عبادة العبيد، وقوما عبدوه شكرا (له) فتلك عبادة الأحرار))' والسؤال الذي يطرح نفسه لمن يمعن النظر في هذه الحكمة هو لماذا حذف الجار والمجرور من الكلام؟

نعلم بأن المنشيء في كلامه يعكس مدى قدرته على تحويل الأفكار من واقعها الطبيعي المألوف إلى حلة جديدة يشعر من خلالها المتلقي بتأثير الكلام على الرغم من درايته بحقيقة الأفكار، ولا شك أن كل ذلك يحتاج إلى قدرات لفظية ومعنوية، ويبدو أن الإمام في حذفه للجار والمجرور جعل النص متماسكا ومنسجما أكثر مما لو ذكره، ودليلنا على ذلك أن توظيف فن الإزدواج أو ما يطلق عليه بالموازنة والتي تعرف على: (أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن)[٢١] فيكون التساوي في الوزن من دون التقفية[٢٢] إذ أن الموازنة تقوم على أساس اتفاق الأوزان في الجمل المتماثلة وفي مقاطعها

الصوتية المتشابهة في الإيقاع[٢٣] فشكل التوظيف لهذا الفن البلاغي تعادلا موسيقيا بين الجمل المكونة للنص فأحدث علاقة إتساقية على المستوى المعجمي والنحوي وهذا ما يبدو للمتمعن والمتأمل في نص هذه الحكمة وعلى وفق الرسم التوضيحي:

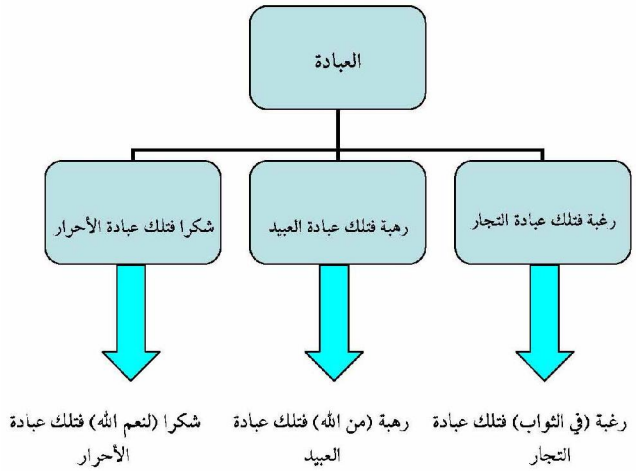

نجد أن المنشيء قدم المعنى المركزي وهو يحمل ثلاثة أشكال متساوية في عدد حروفها إلا أنها مختلفة في معانيها، ولاشك أن هذا التوظيف يحمل المتلقي للتفاعل مع المعنى لا من خلال ما يحمله من حقائق وتأكيدات، بل التعادل الصوتي يأخذ مكانه في التأثير أيضا من خلال الإنسجام الإيقاعي.

ولعل قائل يقول: لو أضفنا الجار والمجرور لسياق الكلام في حكمة الإمام عليه السلام السابقة فما الذي يحدث؟ وهل يؤثر ذلك على وجود ظاهرة التوازن؟

يمكننا الإجابة عن ذلك بالقول: أن إعادة الجار والمجرور لا يحقق ما يصبو إليه المرسل من التوظيف الإيقاعي، فنطلب منه إعادة النظر وقرأت النص مرة أخرى بعد الإضافة كما في الرسم أعلاه حينها سيكتشف الفرق الواضح في إيقاعية اللفظ من خلال الثقل في الكلام والخلل في الموازنة بين الجمل، الذي لا نجده في الحذف.

ثانياً: حذف الفعل.

من يدقق النظر في حكم الإمام علي عليه السلام يجد أن هناك حذفا في نص الحكمة ويتنوع المحذوف على وفق سياق الكلام وقرائنه اللغوية القائمة على أساس المقام والمقال؛إذ يأتي الحذف فيه مكملا لجمال الحكمة، ومعززا لتأثيرها في نفس المتلقي. ولا شك أن تلك الحكم ترتبط حالها حال النصوص الفنية الرفيعة بنسيج متماسك من الكلمات من خلال علاقة الدال والمدلول التي يرسمها المرسل وبما يملكه من قدرات تعبيرية قادرة على إيصال المعنى والتأثير في المتلقي ولحذف الفعل في حكم الإمام علي عليه السلام أمثلة كثيرة منها حكمته في ضرورة توظيف الأموال في الغنى قبل الفقر والعمل في الحياة قبل الموت والمتمثلة في قوله: ((بادر غناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك))[٢٤]، لا يستطيع المتذوق للنصوص الفنية الرفيعة إنكار دقة النسج المحكم للكلمات الواردة في حكمة الإمام عليه السلام من حيث الشكل والمضمون ولاشك أن تحليل بلاغة الحذف في هذا النص من دون المرور بالمظاهر البلاغية الأخرى يعد أمرا منقوصا، لما يحمله الكلام من لمسات بديعية واضحة منحت النص قيمة جمالية في التدليل عن المعنى منها الطباق الذي أطرب النفوس من خلال الجمع بين الشيء وضده في الكلام[٢٥]:

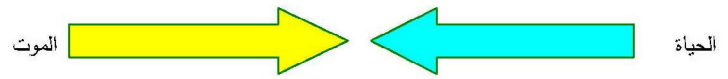

وكذلك فن المقابلة من خلال الجمع بين لفظين متضادين أو متناقضين في المعنى [٢٦].

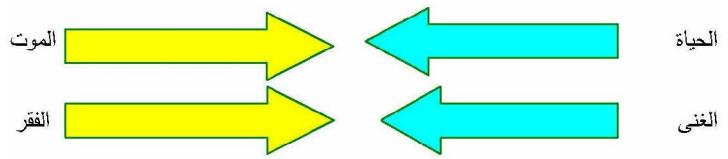

ولم يقتصر النسج على ذلك بل تجاوزه لفن آخر يعمل على الطرق في أذن المتلقي ألا وهو السجع وحدّهُ ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحد)) [٢٧]، المتمثل في تواطؤ الكاف في (غناك)، (فقرك)، (حياتك)، (مماتك).

ويبدو أن استجلاب السجع في النص الأدبي ظاهرة واضحة في الحكم العربية بصورة عامة وحكم الإمام علي عليه السلام بصورة خاصة؛ لما يحدثه هذا الفن من إيقاع وتأثير في النص النثري مشابه لإيقاع القافية في الشعر [٢٨] أولا وتثبيت المعنى في ذهن المخاطب ونفسه ثانيا، وهذا ما أصّله قول الفضل بن عيسى الرقاشي [٢٩] حين سئل عن سبب السجع في كلامه وحرصه على القوافي، وإقامة الوزن قال: ((إنّ كلامي لو كنت لا أمل فيه الإسماع الشاهد، لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعهِ أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلُّت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره))[٣٠].

أضف لتلك الفنون البلاغية المكثفة في هذا النص حذف الفعل (بادر) في الجملة الثانية في قول الإمام (حياتك قبل موتك) وما كان لهذا أن يحدث إلا بعد أن إستغنى عنه بالقرينة التي دلت عليه الجملة الأولى (بادر لغناك قبل فقرك) وكانت هذه القرينة مستوفية للدلالة على الفعل المحذوف، لكون (الإستغناء عن الذكر لا يتم إلا من خلال الإرشادات الدالة عليه عبر تقنيات خاصة يوجدها منشيء النص كي يحقق عرضا معنويا كان أم جماليا، ولا يأتي هذا الحذف إلا بعد أن تتوفر مسوغات ومنها مشاركة المتلقي في إستخلاص دلالة النص)[٣١].

وفي النهاية نجد أن الحذف أكمل جمال الصورة بتوظيفاتها المتنوعة في الطباق والسجع والمقابلة فمنح الكلام الإيجاز والتكثيف وكذلك إستبعاد

العبارات السطحية (الفعل بادر) والتي من الممكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن من دون ذكره.

ثالثاً: حذف الاسم.

ونجد مصاديق حذف الإسم في مواضع كثيرة من حكم الإمام علي عليه السلام ومنها ما ورد من حذف المفعول به في قوله في إحدى حكمه: ((التواضعُ يرفعُ، التَكبُّر يَضَعُ)) [٣٢]، ويظهر لنا جليا حذف المفعول به الذي يمكن تقديره بـ (الإنسان) أو (الناس).

وهذا ما نجده أيضا في حكمة أخرى من حكمه عليه السلام في قوله ((الدينُ يَجِلُّ، الدُّنيا تَذلُّ))[٣٣].

ويبدو كذلك حذف المفعول به والذي يمكن تقديره على أنه: (الإنسان) أو (الناس).

وقد ترك ذكر المفعول به المقدر بـ (الإنسان) في المثال الأول، و(الناس) في الثاني، لعلم المخاطب ومعرفته وشهرته، ولشهرة المحذوف يكون ذكره وعدمه سواء [٣٤].

وتعاضد الايجاز مع أسلوب الطباق بين الألفاظ (يرفع، ويضع)، و(يجل، وتذل) وأسلوب المقابلة في الجمل (التواضع يرفع) و(التكبر يضع) و(الدين

يجل) و(الدنيا تذل) وهذا التقابل الجملي حقق نوعًا من التعادل الصوتي والانسجام الإيقاعي مما أضفى جمالية في الحذف.

ومن حذف المبتدأ قوله:عليه السلام واصفًا الدهر وأحواله: ((الدَهرُ يَخْلِقُ الأبْدانَ، ويُجَدِّدُ الآمالَ، ويُقرِّبُ المَنيةَ، ويُبْعِدُ الأمنيةَ))[٣٥].

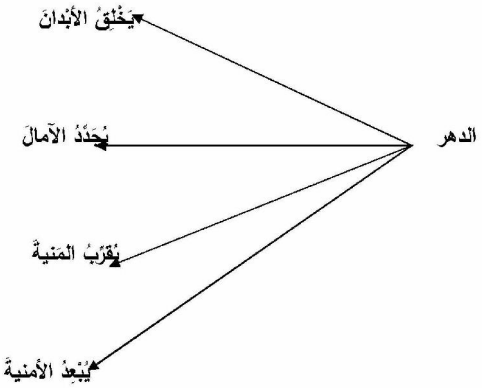

فالمعنى المركزي هو (الدهر) وعليه تدور الأفعال الأربعة، حيث تحمل أربعة أشكال بنائية متساوية المقاطع، متضادة المعاني والدلالات. وترك تكرار المحذوف الدال عليه القرينة اللفظية السياقية المتقدمة وهي (الدهر) فيه استيفاء للمعنى والقصد، وقد أغنت عن الذكر (وحذف المبتدأ استغناء بقرينة شهادة الحال، إذ لو ذكره لكان عبثًا من القول)[٣٦]. واتضح قصد المنشئ في ترك ذكر المحذوف الاهتمام بالحدث أكثر من الفاعل القائم بالحدث الذي أغنت عنه قرينة الحال والسياق؛ (فالاشتغال بذكره يُفضي إلى تفويت المهم)[٣٧].

المبحث الثالث

حذف الجملة في حكم الإمام علي عليه السلام

لا شك أن المتلقي يبني قناعاته بالمادة المبثوثة على وفق ما تحمله من معاني ودلالات مكثفة في سياقات تنبأ بقدرات المرسل اللغوية، ويعد حذف الجملة

من تلك القدرات التي ينماز بها المنشيء ويعد (حذف الجملة هو من أحسن المحذوفات وأدلها على الاختصار ولا نكاد نراه إلا في كتاب الله تعالى)[٣٨].

ونجد نماذج هذا الإستبعاد كثيرة منها قوله: ((بادرْ شَبابِكَ قَبلَ هَرمِكَ، وصحتكَ قبلَ سَقمِكَ)) ولو قمنا في دراسة الجدوى من ذلك الإستبعاد أو الحذف، ومقارنته بالجانب النفسي للمتلقي وجدنا أن المرسل أشار إلى ضرورة مبادرة الإنسان إلى فعل الخير قبل فوات الأوان فالدنيا عرض حاضر يأكل منه الصالح والطالح والعاقبة للمتقي، ومن حذف شبه الجملة قوله عليه السلام: ((الصدقُ وَسيلةً))[٣٩]، ((العفو فَضيلةً))[٤٠]. وحذف شبه الجملة مقدرة بـ (للخير).

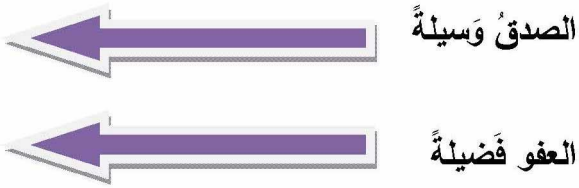

حقق التقابل الجملي إيجازا وتكثيفًا في المعنى، وإيقاعا منسجما مع حذف المحذوف المقدر بـ(للخير) المعروف عند المخاطب، وترك الذكر يحسن هنا لدلالة المعنى عليه.

إن هذا النمط من التأليف بالحذف هو نمط مختلف؛ بل هو (تركٌ...؛ لأن الكلام بقرائنه وإشاراته وإيحاءاته لا يحتاج إلى ذكر ما قيل أنه محذوف لأنه لو ذكر لأفسد المعنى)[٤١].

ويظهر مما تقدم أن الخطاب كان خطابا توجيهيا تأثيريا يتناغم وينسجم مع فكر المتلقي، ومن هنا تظهر جمالية التلقي في عملية الفهم، وبناء المعنى وإنتاجه (أما مقاربة جمالية التلقي للمعنى فتنطلق منطلقا آخر يجعل عملية الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه؛ ليصبح الفهم هو عملية إنتاج المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه وبذلك يعد المحصول اللساني

مؤثرا واحدا من مؤثرات الفهم لابد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من لدن المتلقي)[٤٢].

فالنص يكشف عن المعارف الذهنية والثقافية بين أطراف العملية التواصلية وهما: المتكلم والمخاطب؛ (إذ يحاكي النص معتقدات المتلقي، ويعمل على استثارتها، فمن الممكن أن يصبح النص نصًا آخر عند المتلقي بما يتناسب مع معارفه ومعتقداته)[٤٣].

وعدت قرينة السياق سمة مميزة ميزت خطاب الإمام علي عليه السلام في بناء الأفكار، وتفاعل اللغة مع المتكلم والمخاطب على نحو اجتماعي توجيهي معرفي " إن أهمية السياق في بنائية الفكرة التي تنتظم عبر كلمات تتشكل فيه، تشير إلى أن الخطاب يجري في فضاء اجتماعي، ولا بد من توظيف اللغة بصورة تنتظم فيها وتكتسب دلالتها في إطار توجيهي معرفي يخلق لدى المتلقي أصداء تتجاوب مع ما يطمح إليه المرسل، في الوقت الذي ينشأ فيه تداول لخطاب غير منطوق يرتكز في دلالته على التفاعل الذي يجري بين مرسل الخطاب ومتلقيه[٤٤].

الخاتمة نتائج البحث:

١- طبقا لأراء النقاد القدامى والمحدثين القائمة على أهمية تدبر ظاهرة الحذف في النصوص الفنية، ولما هو مألوف من ميل العرب الشديد لفن الإيجاز، وانسجامًا لما لمسناه في هذه الظاهرة من جمال وفن في حكم الإمام علي عليه السلام فمن الممكن أن نعده شرطًا مكملا في تقصي صحة وسلامة النصوص الفنية المخطوطة غير المدروسة من تراثنا الأدبي.

٢- ثبت من خلال البحث في ما ورد من كلام الإمام علي عليه السلام عامة وحكمه بتوفر جزئية حذف الحرف، ولكن بشكل نادر وقليل، فهو

لا يأتي إلا لدواعٍ بلاغيةٍ فنيةٍ خالصة.

٣- تنوع مظاهر الحذف في الحكم لتشمل حذف الكلمة، والجملة، والحرف.

٤- اتضحت بلاغة الحذف في التوظيف الدقيق للحذف في موضعه انسجامًا مع السياق، واعتماد القرائن اللغوية في الاستدلال على المحذوف، وهو ما يعرف بالاستغناء، أو الاكتفاء بما هو مذكور، وعليه لا حذف في الكلام، بل ترك واستغناء وقصدية في تغييب العنصر المقصود.

٥- حقّق الحذف أغراضًا بلاغية منها: الإختصار، والإيجاز، وتعميق المعنى، وتماسك النص وترابطه.

٦- وضوح القدرة البلاغية التعبيرية العالية للإمام علي عليه السلام في إيصال المعاني بأوجز العبارات، وتكثيف المعاني، واختزالها للتأثير في نفس المتلقي.

٧- أضفى الحذف قيمة جمالية على الحكم، وتعاضده مع الأساليب البديعية من خلال الجمع بين: الطباق والمقابلة، والسجع التي حققت التعادل الصوتي، والانسجام الإيقاعي.

٨- انسجام الحذف مع ذهن المتلقي اعتماداً على قدرة المنشئ البليغ على بناء الكلام وصوغه على وفق معارف المتلقي وثقافاته.

٩- ومن خلال عملية البحث عن ظاهرة الحذف في كتاب (غرر الحكم ودرر الكلم) للقاضي ناصح الدين، وجدنا بأنه لم يكن هناك استقصاء تام وشامل لحكم الإمام عليه السلام في هذا الكتاب فوجدنا أن هناك كثير من الحكم الموجودة في كتاب نهج البلاغة، ولم تدرج في كتاب الغرر وهذا

ما يتطلب أن تكون هناك فهرسة ودراسة لحكم الإمام في نهج البلاغة، وهذا ما نجد مصاديقه في المثال السابق وأمثلة أخرى[٤٥].

هوامش البحث

(١) لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت:٦٥/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، محمد بن عبدالله(ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م: ٦٧/٣.

(٣) كتاب الرد على النحاة، :ابن مضاء القرطبي، أحمد بن عبد الرحمن (ت٥٩٢هـ)، تحقيق د. شوقي ضيف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٤٧م:١٠٥.

(٤) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، عبد الرحمن بن محمد، تعليق محمود محمد شاكر مطبعة المدني، مصر، ط٣، ١٩٩٢م: ١٢١.

(٥) الخصائص:ابن جني، ابو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية، القاهرة ط٤، ١٩٩٩م: ٨٤/١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٢/٢.

(٧) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن هشام (ت٧٦١هـ) تحقيق د.مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر بيروت، ط٦، ١٩٨٥ م:٧٨٧-٧٩٦.

(٨) المصدر نفسه: ٧٩٧.

(٩) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: د.طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، مصر، ط١: ٨٩ - ١٠٠.

(١٠) ينظر: البديل المعنوي من ظاهرة الحذف: الخالدي، د.كريم حسين ناصح، دار صفاء. عمان، ط١، ٢٠٠٧م: ٩ -١٠.

(١١) التوجيه الأدبي: طه حسين وآخرون: دار الكتاب العربي: مصر: ١٩٥٤م: ١٣٨.

(١٢) الصوت اللغوي في القرآن: د. محمد حسين الصغير: دار المؤرخ: بيروت - لبنان: ط١: ٢٠٠٠: ١٦٩.

(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم (المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: للقاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت ٥٥٠هـ): تدقيق وترتيب عبد الحسن الدهيني: دار الهادي: بيروت - لبنان: ط١: ١٩٩٢م: ١٦٨.

(١٤) ينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: تح. مجمع اللغة العربية: الموسوعة الشاملة: ج١: لفظ (بدر).
(١٥) نهج البلاغة: تعليق وفهرسة. د. صبحي الصالح: تح: الشيخ فارس تبريزان: مؤسسة دار الهجرة: السرور: ط٣: ٦٧٣.
(١٦) غرر الحكم:٧٤
(١٧) شرح نهج البلاغة: عز الدين بن أبي الحديد المدائني(ت٦٥٥هـ)، ضبط وتصحيح محمد عبد الكريم النمري، دار الأضواء، بيروت: ١٨/ ٦٨.
(١٨) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي: دار وائل للنشر: عمان: ٢٠٠٣م: ٢٨.
(١٩) ينظر: نهج البلاغة: ٦٧٣.
(٢٠) غرر الحكم: ١٣٤.
(٢١) المثل السائر: ١ /٢٦٩.
(٢٢) ينظر: الإيضاح: ٣٢٥.
(٢٣) ينظر: البديع: منير سلطان: ٥٩.
(٢٤) غرر الحكم: ١٦٨.
(٢٥) ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٠٧، تحرير التحبير: ٢ / ١١١، حسن التوسل: ١٩٩.
(٢٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٧، تحرير التحبير: ٢/ ١٧٩، حسن التوسل: ٢٠٣.
(٢٧) المثل السائر: ١ /١٩٠، ينظر: الإيضاح: ٣٢٥، المعجم المفصل في اللغة والأدب: د. ميشال عاصي، د. اميل بديع يعقوب، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م: ٢ / ٧٠٩.
(٢٨) ينظر: البرهان في وجوه البيان: أبو الحسن الكتاب، تح: أحمد مطلوب خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٧م: ٢٠٩.
(٢٩) الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى البصري الواعظ، كان خطيباً مجيداً، وقاصاً شجاعاً في قصصه، ينظر في ترجمته، تهذيب التهذيب: العسقلاني، ضبطه: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٥م: ٦ / ٤٠٩، الأعلام: ٥ / ١٥.
(٣٠) البيان والتبيين: ١ / ٢٨٧.
(٣١) الإسلام والأدب: د. محمود البستاني: المكتبة المختصة: مطبعة ستارة: إيران- قم: ط١: ٢٠٠١م: ١٠٩.
(٣٢) غرر الحكم: ٢٣-٢٤.
(٣٣) غرر الحكم:٢٤.
(٣٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٣/٧١.
(٣٥) غرر الحكم: ٣٣.

(٣٦) البرهان في علوم القرآن: ٦٩/٣.
(٣٧) المصدر نفسه: ٦٩/٣.
(٣٨) البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب: مكتبة لبنان: ناشرون: الشركة المصرية العالمية للنشر: لونجمان: القاهرة: ط١: ١٩٩٤م: ١٢٥.
(٣٩) البديل المعنوي من ظاهرة الحذف: ١٤٦.
(٤٠)غرر الحكم: ٤٧.
(٤١)البديل المعنوي من ظاهرة الحذف: ١٤٦. وينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: د.هناء محمود إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م:٢٣٧.
(٤٢) نظرية التلقي- أصول وتطبيقات -: د.بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٩: ٢٩
(٤٣) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٢٣٦.
(٤٤) الخطاب في نهج البلاغة: الدكتور حسين العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م: ٣٣.
(٤٥) ينظر: نهج البلاغة: ٦٧٣.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ): دار الكتب العلمية - لبنان: ط١: ١٩٨٨م.
- الإسلام والأدب: د. محمود البستاني: المكتبة المختصة: مطبعة ستارة: إيران- قم: ط١: ٢٠٠١م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي: دار العلم للملايين: بيروت - لبنان: ط١٦: ٢٠٠٥م
- الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي: قم: ط: ٢٠٠٢م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ): قدم له وبوبه وشرحه: علي أبو ملحم: منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأخيرة: ٢٠٠٠م.
- البديع - تأصيل وتجديد: د. منير سلطان، منشأة معارف بالإسكندرية، ١٩٨٦م.
- ا لبديل المعنوي من ظاهرة الحذف: د.كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء. عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

- البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م: ٦٧/٣.

- البرهان في وجوه البيان: أبو الحسن الكتاب: تح: أحمد مطلوب خديجة الحديثي: مطبعة العاني: بغداد: ط١: ١٩٦٧م.

- والتطبيق: د. أحمد مطلوب: مكتبة لبنان: ناشرون: الشركة المصرية العالمية للنشر: لونجمان: القاهرة: ط١: ١٩٩٤م.

- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

- تحرير التحبير في (صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن): ابن ابي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) تحقيق: حنفي محمد شرف: شركة الاعلانات الشرقية: مصر:١٣٨٣هـ.

- تهذيب التهذيب: العسقلاني، ضبطه: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٥م.

- التوجيه الأدبي: طه حسين وآخرون: دار الكتاب العربي: مصر: ١٩٥٤م.

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل: شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق: اكرم عثمان يوسف، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م.

- الخصائص: ابو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية، القاهرة ط٤، ١٩٩٩م.

- الخطاب في نهج البلاغة: الدكتور حسين العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

- دلائل الإعجاز: عبد الرحمن بن محمد عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر مطبعة المدني، مصر، ط٣، ١٩٩٢م.

- شرح نهج البلاغة: عز الدين بن ابي الحديد المدائني(ت٦٥٥هـ)، ضبط وتصحيح محمد عبد الكريم النمري، دار الأضواء، بيروت.

- الصوت اللغوي في القرآن: د. محمد حسين الصغير: دار المؤرخ: بيروت - لبنان: ط١: ٢٠٠٠م.

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:د.طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، مصر، ط١، ١٩٩٨م.

- غرر الحكم ودرر الكلم (المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: للقاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت٥٥٠هـ): تدقيق وترتيب عبد الحسن الدهيني: دار الهادي: بيروت - لبنان: ط١: ١٩٩٢م.

- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي: دار وائل للنشر: عمان: ٢٠٠٣م.

- كتاب البديع: عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، أغناطيوس كراتشقوفسكي، ١٩٩٦م.

- كتاب الرد على النحاة، :أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ)، تحقيق د. شوقي ضيف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٤٧م.

- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ، دار صادر، بيروت.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- المعجم المفصل في اللغة والأدب: د. ميشال عاصي، د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: تح. مجمع اللغة العربية: الموسوعة الشاملة: ج١: لفظ (بدر).

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:جمال الدين بن هشام ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق د.مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر بيروت، ط٦، ١٩٨٥ م.

- نظرية التلقي- أصول وتطبيقات -: د.بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٩م.

- نهج البلاغة: تعليق وفهرسة. د. صبحي الصالح: تح: الشيخ فارس تبريزان: مؤسسة دار الهجرة: السرور: ط٣.

- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: د.هناء محمود اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.